وجدت الطفلة التي تدرس في الصف الثالث الابتدائي أن أمامها فرصة جيدة للنيل من الكبار وهي تكتشف فشل والدها في فك رموز كتابها الجديد والملون بعد أن عدلته وزارة التربية والتعليم، فقالت وهي تسحبه من يد والدها وتلقي به أرضاً في غضب مفتعل: "شفتوا ليش أنا مش فاهمة!!"

لم أكن أفضل حالا من والدها الذي قرر الاستعانة بي، فلديه اعتقاد خاص أن الصحفيين عباقرة ويستطيعون معرفة أي شيء كما هم يتدخلون في كل شيء.

كل ما وجدته في صفحتي الدرس الذي يريد التحدث عن أنماط الغذاء لعدد غير متجانس من الكائنات الحية هي أفكار عامة ليست مدونة.

حاولت إخبارها بما لدي من أفكار تلافياً للحرج الذي وقعت فيه، لكني لم أكن متأكدا من شيء، فالدرس مجموعة من الصورة الملونة لكائنات مختلفة ثم أسئلة يفترض أن تجيب عليها ابنة عمي المشاكسة والمهتمة أكثر بقضايا نسائية كبيرة مثل ما الذي سترتديه لحفل زفاف في بيت جارنا، أو ما الذي قالته المرأة التي زارت والدتها صباح ذلك اليوم، وكيف أن البخور الذي جلبته "الدلالة" ليس بجودة بخور "أم العجما".

كانت أفضل النتائج التي خرجنا بها أن قناعات عمي تغيرت، وأصبح ينظر إلي بشك واضح، أما أسوء النتائج فهي أني لم أتمكن ليلتها من مطالبة الصغيرة بالهدوء، فكلما فعلت ذلك عادت وطرحت موضوع كتابها للنقاش بشكل استفزازي.

إعداد / محمد الظاهري

المناهج ليست المذنب الوحيد:

من أجل أبنائكم فكروا بإجابات

المنهج

هل تبدو مناهجنا سيئة إلى هذا الحد؟، أعتقد أن الإجابة بـ«نعم» ظالمة جدا، وغير منصفة، فثمة طلاب يبدعون، ومدرسون يستطيعون التعامل مع المنهج.

– حين طُلب مني كتابة هذا الموضوع بدا لي الأمر أنه ينطوي على أشياء أخرى إذا ما قررنا التفكير بشكل جدي، وبما أن التربويين يقضون إجازتهم سنقوم بذلك سويا، وسأتحدث إليكم مباشرة، سيكون بمقدوركم أيضا كتابة رسائلكم وأفكاركم الخاصة لتجدوا إجابات يبحث عنها أبناؤكم.

إن الصور الملونة ليست مبهمة في حقيقة الأمر إذا ما قررنا اعتبارها إجابات حين ينظر إليها الأطفال باعتبارها أسئلة، هذا ما بدا لي.

وبمساعدة نقاشات سابقة دارت مع تربويين قديرين فإن المشكلة تكمن في أننا اعتدنا نمطا تلقينيا في التعليم، لا بد من وجود شيء تحفظه الصغيرة (نهى) وتكتبه أمام الأسئلة الروتينية المتوقعة.

"لم تعد التربية مجرد قوالب جامدة، ولم تعد حجرات الدراسة مغلقة" من وجهة نظر الباحثين التربويين، حتى مفهوم النشاط المدرسي تغير وبعدونه اليوم "مكملا لنصوص المنهج الدراسي".

تخيل أنك معلم مؤهل بشكل جيد تقف في صف مكتظ بالصغار الفضوليين ولديك صورة، إنها فكرة عامة وسيكون بمقدورك إدارة حوار ساخن لتجمع معهم أفكارا يبحثون عنها بأنفسهم لتفسير الصورة، وربما يتمكنون – بمساعدتك طبعا – إلى فك شفرات لم تخطر ببالك، فللأطفال طريقتهم الخاصة في التفكير.

وحسب دراسات علمية يعد الأطفال الأكثر ذكاء منا، فالذكاء من وجهة نظر الدكتور أحمد شراب وهو أخصائي الأطفال والعلوم الوراثية "ملكة من الملكات عند البشر"، وحتى غير البشر. وقد أشار في مقالات له ينشرها على الإنترنت إلى دراسات تؤكد أن سلوك الأطفال الفضولي وبحثهم الدائم بشكل حر عن الإجابات يجعل معدلات ذكائهم أعلى.

إحدى الجامعات الأمريكية أجرت مسحا استقصائيا على مفهوم الإبداع عند الأطفال، تبين أن ما لا يقل عن ٩٠٪ من الأطفال دون سن الخامسة هم حقاً مبدعون، لكن هذه المعدلات تنخفض في الفئة العمرية من خمس سنوات و حتى عشر سنوات إلى ١٠٪ فقط.

يقول العلماء إن الأنماط التعليمية هي السبب، إنه أمر مضحك حسب الدكتور شراب، فحين يدخل الأطفال المدرسة يتعلمون الغباء، ويفسر العلماء قولهم بأن الأنماط التعليمية السيئة تبدأ في محاصرة فضول الطفل وتقليص تساؤلاته الدائمة.

لماذا لا يتساءل الطفل بحرية عن معنى الصورة، وليفكر كما يشاء، ويمكنك منحه الأفكار بشكل تدريجي ليبدأ ببلورة معلوماته دون أن يشعر بإلزامية حفظها، حين تسأله مرة أخرى عن الصورة سيكون لديه ما يقوله.

ليس المنهج وحده مذنباً

● لكن ما هي الصورة التي ستضعها أمامه، وبأي شكل، إن التساؤل الحقيقي يتعلق بهذا، ومن هو المعلم الذي سيجعل من الصورة مشروع معلومات غير ملقنة؟، وما هو شكل الصف الذي سيتساءل الطلاب داخله؟، وكم عددهم؟، وكيف سيتم اختبار مستوى إدراكهم لما يحيط بهم وليس ما يحفظونه؟

– إن (نهى) ليست سعيدة بالمدرسة التي لا تسمح لها بالتحدث بحرية، ولا تكون سعيدة حين يطلب منها ملء الفراغات الموجودة في ورقة الأسئلة تحت إجراءات غريبة مثل إخراجها إلى الفناء لتجلس مع زميلاتها متباعدات كي لا تتمكن من الغش، إنها تبدأ بدلا من ذلك التفكير في كيفية "الغش"، وربما تتساءل ما إذا كان "الغش" رجلاً يحب مساعدتها لكن معلمتها مختلفة معه.

المنهج ليس المذنب الوحيد، المشكلة تبدو أكبر بكثير من مجرد منهج، وقبل أن نقصر الأمر على مراحل التعليم الأساسي، يمكننا التوضيح بأن الأمر يكبر كلما تقدمنا.

في المرحلة التالية سيكون بمقدورنا تحديد بعض الأفكار إلى جوار الصورة، وعلى الطالب البحث في عمقها. لماذا حين نصل إلى الجامعة لا يسعنا سوى انتظار "ملازم" أساتذتنا، لماذا لا يروقنا البحث عن أفكار جيدة تميزنا؟، لماذا لا نجيد مهارة البحث (السليمة) عن الجديد؟.

هل نحن مخطئون؟

الاعتراف بالخطأ خطوة متقدمة، على الأقل يجعلنا نتجاوز الحاجز الذي يحول بيننا وبين الحلول، حين نعترف بالمشكلة تكون الخطوة التالية هي البحث عن حل، لقد بات رئيس الجمهورية متأكداً أن هناك "فراغاً فكرياً يجب أن نسده".

رئيس الحكومة أيضا قال الأسبوع الفائت: "حالة المناهج التعليمية الحالية تتسم بالتجزئة وعدم الترابط فيما بينها"، لهذا يرى من الضروري "إعادة النظر في المناهج وإيجاد الترابط والتماسك في المنظومة التعليمية والنظر إلى أنساق التعليم ومراحله بصورة جديدة تضمن عدم التكرار في المناهج والأخذ بالاساليب العلمية والتعليمية الحديثة والمتطوره لتحقيق الفائدة في أوساط الطلاب".

ما الذي تنتظرونه لتكتبوا أفكاركم؟، إن رئيس الجمهورية ، أو رئيس الحكومة ليسا المسؤولين الوحيدين، ولن يكون أيا منهما قادرا على إيجاد حل سحري بمفرده حتى وإن حاول ذلك. كما أن أحدا لن يكون مضطرا لانتظارنا، فالجميع يركض إلى الأمام.

فكروا بإجابات جيدة لتساؤلات سيطرحها أبناؤكم، وثقوا بأن إخراسهم بالصراخ لن يكون مجديا. فكروا أيضا بشيء غير الوظيفة والراتب، إن ذلك يبدو ثمناً بخسا مقابل الحصول على جيل لا يشعر بالعجز، حين تتمكن من صناعة مبدع لن تكون مضطرا للتفكير بتدبر معيشته، إنه سيقوم بذلك بمفرده، وعلى الطريقة التي يراها مناسبة.

أحلام...

حسنا.. لا نريد أن نحلم، لكن الشعور بالإحباط لا يصنع المعجزات، وقبل أن نبدأ في السخرية سيكون من الجيد التفكير بواقعية أكثر "لنمضي قدما" كما يردد أحد الأصدقاء.

لسنا هنا بصدد اكتشاف خاص، فكل ما قلناه توصل إليه غيرنا، إن الطريق موجودة وكل ما علينا هو أن نسلكها بصدق حاملين معنا كل أوجاعنا التي نبحث شفاءها، وبالتأكيد لن يكون ذلك مجانا.

حسب تقرير أعدته لجنة التربية والتعليم في البرلمان فإن نسبة إنجاز تنفيذ مشروع تطوير التعليم الأساسي حقق نجاحا جيدا في الثلاثة الأعوام الماضية. وبمقدورنا الثقة في واحد من أفضل البرلمانات التي حصلنا عليها حتى الآن.

هذا النجاح كان له ثمن مكلف، وما زالت الحكومة توقع قروضا جديدة من أجله، إنها قروض مزعجة لو أن النتائج سلبية، لكن ما دامت النتائج إيجابية فالأمر محتمل.

ما رأيكم باثنين وستين مليون دولار، إنها تكلفة المشروع كاملا، ويقدم القرض بشكل تدريجي، كلما نجحت مرحلة مولت الأخرى، فحتى الدائنون لا يرغبون في تقديم أموالهم إذا لم تكن مجدية، إن ذلك لمزيد من اليقين إذا أردنا عدم تصديق البرلمان.

ما هي أوجاعنا؟

سيكون من الجيد التفكير مليا فيما نريد تحقيقه، فلدينا الكثير من المشاكل ليس المنهج سوى واحدة منها فقط، والسعي لإصلاحه وحده ليس كافيا، علينا أن نجيب عن الكثير من الأسئلة، مثلا: لماذا ما تزال نسبة المتسربين من المدارس مرتفعة؟، إنها مشكلة تضاعف مشكلة أخرى هي الأمية، ولماذا ما زال المستوى التربوي لدى المعلمين متدنياً؟، الم تعترف وزارة التربية بكل ذلك، إن علينا أولاً معرفة المشكلة التي اعترفنا بها للتو لنختار العلاج المناسب، بدلا من أن تذهب جهودنا سدى.

فمسوحات أجرتها وزارة التربية والتعليم عام ٢٠٠١ تؤكد بأن التعليم لم يغط ٦٢٪ ممن هم في سن التعليم، ويوجد ثلاثة ملايين ونصف المليون طفل فقط ملتحقين بالمدارس من بين خمسة ملايين ونصف المليون طفل في سن التعليم. وتقدر تقارير رسمية متوسط المتسربين من المدرسة في الفئة العمرية من ست سنوات إلى خمس عشرة سنة يتجاوزون ١٢٠ ألف طالب وطالبة سنويا.

والوزارة نفسها تعلم بأن أكثر من نصف المعلمين من حملة الشهادة الثانوية ومعاهد المعلمين، وقرابة ٢٠٪ من النصف الآخر يجيدون القراءة والكتابة فقط، ناهيك عن مشكلة الإدارة المدرسية، فمعظم مدراء المدارس لا يمتون بصلة إلى التعليم، وشيء آخر، فهناك ٢٠ في المائة من المدارس غير صالحة إطلاقا وليس أكثر من عشش وأخرى تحت الأشجار أو فصول من الزنك، ونسبة كبير من المدارس الأخرى صغيرة ولا يتجاوز عدد الفصول فيها الثلاثة وهي ضيقة وخالية من أي مرافق أخرى. لقد كشفت الوزارة ذلك حين عقدت مؤتمر التعليم الأساسي.

ورغم أن كثيرين يعلقون آمالهم على القرار الوزاري رقم (٤٧٨) بشأن اعتبار مادة التربية البدنية والرياضية جزءاً من المنهج الدراسي، والقرار رقم ٤٧٧ بشأن الأنشطة المدرسية، وتفعيل لائحة مجالس الآباء وفق قرار آخر حمل الرقم ١٠٣، وصدور تعميم وزاري مؤخرا برقم (١٩٧) يؤكد على تشكيل الجمعيات والأندية العلمية والثقافية والفنية والاجتماعية والرياضية في المدارس، إلا أن النشاط المدرسي، أو ما يسمى اليوم المنهج الموازي ما زال غائبا بصورته الحديثة.

إحصاءات الإدارة العامة لمحو الأمية في صنعاء تقول أيضا أن لدينا ٥٢٢ ألفا و٥٠٢ أميين من بين مليون و٤٨٨ نسمة يسكنون في صنعاء، وتقدر الإدارة نسبة الأمية في الفئة العمرية من ١٠ سنوات فأكثر بـ٢١,٢٨٪ عام ٢٠٠٠.

هذه الأرقام قديمة بعض الشيء، لكن الأخطر من ذلك أنها لم تتوقف عن الزيادة حسب المسؤولين في محو الأمية رغم ما يبذلونه من جهود، فرئيس جهاز محو الأمية كان أكد في حديث صحفي سابق أن من بين أسباب تزايد الأمية تزايد النمو السكاني الذي فاقم عدد غير القادرين على الالتحاق بالمدارس، وقصور القدرة الاستيعابية للتعليم الأساسي، وهناك بعض المناطق الريفية لا يكون بها مدارس، ثالثا ارتفاع معدل الهدر التربوي من رسوب وإحجام عن حق التعليم، بالإضافة إلى ضعف البرامج التعليمية القائمة، وعدم ملاءمتها لحاجات الناس وتطلعاتهم. بالإضافة إلى المتسربين من المدارس، إن جهود محو الأمية مع استمرار كل هذه المشاكل تشبه مواجهة بين فأر وغوريلا ضخم.

إننا بحاجة للتساؤل عن أسباب كل ذلك.

أشواق

عبدالكريم الخميسي

حديث القمر..!! *

■ مضى زمن طويل على آخر لقاء بيني وبين هذا الكتاب الجليل «حديث القمر» لمصطفى صادق الرافعي، رغم أنه كان لا يفارقني طرفة عين.

■ وبالأمس لمحته يطل عليَّ من بين الرفوف، وكأنه يناديني بحرارة ليحدثني عن «القمر» الذي كان في أيام الرافعي ينبوع السعادة والإلهام، قبل أن يكتشف الإنسان حقيقته «الحجرية».

■ وكانت دهشتي اليوم كبيرة حين وجدت أن أستاذنا الرافعي قد سبق الأمريكيين إلى «القمر» وأكتشفه «بخياله» قبل أن يكتشفوه «بعلمهم»، فقال في معرض حديثه عن الإلحاد والملحدين : «وليت شعري ماذا يراك الملحد أيها القمر؟؟ .. إنه لا موقع في قلبه للحب لأن الحب (إيمان)، فما أنت في رأي عينه على ما أنت إلاَّ (حجر..) أيها القمر .. كن لهم كذلك حتى إذا كفر بالله ملحد ألقمه الله منك حجراً، فتصبح للطبيعة وجه الحقيقة، كما أنت لنا وجه الحب والجمال..».

■ فكيف اهتدى الرافعي إلى «حجرية القمر» قبل أن يكتشفها العلم؟ .. لقد ظل هذا السؤال يجول بخاطري حتى وجدت «الإجابة» عنه ناصعة جلية في فقرة بديعة من نفس الكتاب تقول : «إذا أردت أيها الإنسان أن ترى جمال شيء من الطبيعة، فاجعل عينك أقرب إليه من فكرك».

■ وهذا ما فعله الرافعي تماماً حين جعل «القمر» أقرب إلى عينه وقلبه، فألهمه غزلاً وشعراً، ولما أراد أن يستلهمه لدحض المشككين نظر إليه بعين «فكره» فرأى فيه وجه «الحقيقة» وليس وجه «الجمال».

 # كتاب أدبي شهير للكاتب المفكر المرحوم/مصطفى صادق الرافعي.

ص . ب (٤٨٤١)
alkhmisy@hotmail.com

حمار.. فيل.. ونعامة!

حسن عبدالوارث

●● يشتد هذه الأيام أوار الحملة الرئاسية الأمريكية بين «الحمار» الديمقراطي و«الفيل» الجمهوري .. برغم أن الاثنين يستويان مكانةً في حظيرة البيت الأسود .. فلا شيء حقيقياً سيتبدَّل فيه غير طاقم الموظفين وستائر غرفة النوم ومأوى الكلب!

والمصيبة أن العرب – والعرب وحدهم – يتفاءلون خيراً بقدوم كل رئيس أمريكي جديد .. وما هي سوى أشهر – وأحياناً أسابيع فقط – حتى يفاجأوا بأن «سام الدين» ألعن من أخيه!

وكأنَّ العرب يستمتعون بالتغافل المطبق عن أبسط القواعد الثابتة والحقائق الاستراتيجية للسياسة الأمريكية، التي لا تتبدَّل البتَّة مهما تبدَّلت الإدارات التي تحتل البيت الأسود، ومهما كان الشخص الذي يجلس خلف المكتب البيضاوي في هذا البيت الذي سُفحت «طهارته» على قميص مونيكا!

إن ثبات السياسة الخارجية الأمريكية، وبالذات تجاه القضية الفلسطينية والشرق الأوسط عموماً، لم تتبدَّل ولن تتبدَّل .. إنما قد تتعدَّل في أحسن الأحوال .. وأحسن الأحوال هذه لن ترى النور أبداً، لا سيما بعد الهيستيريا التي أبداها العم سام إثر ١١ سبتمبر المشؤوم.

لكن ماذا نقول للنعامة العربية التي تأبى إلاَّ أن يظل رأسها مدفوناً في الرمال، تجاه الموقف الأمريكي الثابت من القضايا العربية وفي مقدمتها فلسطين؟!

لقد ظل جورج بوش يردد دائماً بأنه يحب ثلاثة : زوجته .. مزرعته .. وكلبه «سبوت» .. فماذا ترى سيحب الرئيس المقبل إذا كان منافسه؟!

wareth 26 @ hotmail.com.